



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم اللغة والأدب العربي

كلية الآداب واللغات

عنوان المذكرة:

المأزق الوجودي للقضية الفلسطينية في ديوان سميح القاسم

مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الدكتور:

عبد العزيز مصباحي

من إعداد:

بوبكر عاد

حسن أحمودة

عادل سايح

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
أ.د. خليل عبد الكريم	أستاذ تعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي	رئيسا
د. عبد العزيز مصباحي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي	مشرفا ومقررا
د. يوسف العايب	أستاذ محاضر -أ-	جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي	مناقشا

الموسم الجامعي: 1445 - 1446 هـ / 2024 - 2025 م

شك وعافان

يقول عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبِّي لَكُمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَلَىٰ غَوَاةٍ كَثِيرَةٍ وَإِن كَفَرْتُمْ إِن عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

[إبراهيم: 07].

قال النبي ﷺ في معنى حديثه: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه». رواه النسائي في سننه.

وعملاً بهذا نتقدم بالشكر الجزيل إلى من كان له الفضل . بعد الله تعالى . في إخراج هذا البحث الأستاذ المشرف "عبد العزيز مصباحي" الذي كان أستاذاً وأخاً كريماً طيلة هاته الفترة، فمثله كربيعة الرأي حين قالت أم الإمام مالك: « الزمه وانهل من أخلاقه قبل علمه »،

نشكره على قبول هذا الموضوع الذي يعدّ مواكبة للأحداث الراهنة في الواقع وأيضاً في ميدان اللغة. ونشكره على تحمله لنا طيلة هذه الفترة من دون ملل أو كلل، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعله نبزاسا يهتدي به وشعلة مضيئة لكل من حوله.

كما نتقدم بالشكر الخالص إلى جميع أساتذة قسم الأدب العربي بجامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي كل واحد باسمه. والشكر الخاص للأستاذ: "ياسين سلام" الذي كان لنا نعم المؤجّه والمعين.

والشكر موصول إلى من كان يهمه أمرنا فكان دعائهم كالبلسم الذي يزيل الصعاب ويمهد الطريق لطموح أكبر.

إلى كل من جمعنا معهم كلمة طيبة خلال دراستنا

إلى كل هؤلاء نهدى ثمرة جهدنا

دك * حس * عادل

مفقا مفا
مفا مفا

يبحث الإنسان عن أبعاد وجوده في دهاليز الحياة بعد أن كان يسير في رحب بمعالمه،
إنّه شعور فظيع، يأخذك من عالم المعقول إلى عالم تتلاشى فيه خيوط الأمل... فيصاب
الإنسان بمرض - عدم معرفة الذات - الذي بقي دون علاج جذري لحدّ الساعة.

- فالمأزق الوجودي يحمل بذورا متنوعة في الذات الإنسانية وهو يختلف من إنسان إلى
آخر، وكل يعبر عنه حسب المخزون الفكري الذي يحمله، وبصفة خاصة عند الشعراء، فالمأزق
الوجودي وجد حسه عند الشعراء القدامى، بل منذ أن وجد الإنسان، خلّق معه الإحساس
بالارتباط بأي مكان قد قضى فيه مدة من الزمن، كما خلق معه الإحساس بالخبرة والتساؤل،
لأن محاولة إثبات الذات شعور داخلي وقلقي نفسي خاص بالذات الإنسانية، موضوعه حاضر
في الوعي الكوني.

- وتعد مشكلة المأزق الوجودي ظاهرة بارزة متميزة في العصر الحديث، ذلك أنه عصر
يعكس أزمات سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية، ولذلك فقد غلبت عليه جوانب اللاعقلانية،
ومن جهة أخرى شهد هذا العصر شعور الإنسان بقدراته وانجازاته الهائلة التي سببت له قلق
على مصيره والخوف من سرعة التغيير على مختلف الأصعدة والمستويات، لذا فإن الأدب في
هذا الواقع لا يثير فينا الاستقرار، وإنما القلق والتساؤل، لأنه أدب لا ينتمي إلى عالم مسترخ،
وإنما إلى عالم الشك والتشاؤم، ومن هنا جاءت مشكلة التأمّر الوجودي في التجربة الشعريّة.
في البداية من الضروريّ أن نقف عند مصطلح المأزق الوجودي بشكل خاص؛ لأنه تركيب
لا يمكن التعامل معه على أنه مفهوم معقد بشكل نهائي، إذ ما يزال يعاني الكثير من الغموض،
وربما كان ذلك أمرا طبيعيا إذ من الصعب تعريف المفهومات الأساسية تعريفا دقيقا.

- لذلك استخدم هذا المصطلح بدلالات مختلفة، ولعل سبب الاختلاف والتباين في تعريف واستخدام مصطلح الوجودية عائد إلى المنطق الذي تحدد به زاوية النظر إلى هذا المصطلح. فنجد جان بول سارتر يقول عن الوجودية: "إن الوجودية هي إنسانية"، لأنها تعبر عن قدرة البشر على اتخاذ خيارات حرة، بغض النظر عن تأثير الدين أو المجتمع. ويقول ديكارت: "أنا أفكر إذن أنا موجود". ليردّ عليه كيركجارد: "أنا أفكر فأنا لست موجود".

- وقد اتبعنا في دراستنا المنهج التحليلي الوصفي.

وسنحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما ماهية الوجودية في الأدب والفلسفة؟، و ما هي أبرز مظاهر التأزم الوجودي في القضية الفلسطينية؟.

وقد اخترنا هذا البحث لعدة أهداف منها:

- الرغبة في الإحاطة والإلمام بالموضوع.

- لفت انتباه الأمة للقضية الفلسطينية.

- التعريف بالقضية الفلسطينية.

- ولالإلمام بجوانب الموضوع الذي هو صميم دراستنا - المأزق الوجودي للقضية

الفلسطينية في ديوان سمح القاسم - حيث قسمناه إلى ثلاثة فصول.

الفصل الأول : التمهيد: المولد والنشأة.

والفصل الثاني: الوجودية: المصطلح وأبعاد المفهوم.

تطرقنا فيه إلى تعريف الوجودية لغة واصطلاحاً، ثم جذوره في الأدب العربي والفلسفي. وقد

انتقلنا بعدها إلى مظاهر التأزم الوجودي.

والفصل الثالث: هو النموذج التطبيقي للشاعر: سميح القاسم. وقد اعتمدنا في ذلك على ديوان سميح القاسم وكذلك على جملة من المراجع والمصادر نذكر منها:

1- جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني.

2- حسني أدهم جزّار: نكبة فلسطين.

3- صالح الأشر: في شعر النكبة.

4- قسطنطين زريق: معنى النكبة. إلخ

- ثم حوصلنا عملنا بخاتمة سجّلنا فيها أهم نتائج العمل المدروس، وقد واجهتنا في دراستنا للموضوع العديد من الصعوبات منها:

- نقص المراجع الأدبية المتعلقة بموضوع دراستنا.

- عدم توفر الدراسات التطبيقية السابقة لهذا العمل.

لكن رغم هذه الصعوبات حاولنا التمسك بالموضوع، ومواصلة البحث في أغواره إلى أن رأى النور بفضل الله أولاً، ثم الأستاذ المشرف - مصباحي عبد العزيز - الذي أعاننا بمراجعته ونصائحه وتوجيهاته القيمة راجين من المولى عز وجل أن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته.

Handwritten calligraphic text in a stylized, possibly Arabic or Persian script, featuring large, bold characters and decorative flourishes.

1- المولد والنشأة:

هو سميح محمد القاسم الحسين، شاعر من فلسطين من مدينة صفد، وُلِدَ في مدينة الزّرقاء بالأردن سنة (1358هـ/1939م)، ترعرع في أسرة درزيّة الأصل، مُكوّنة من خمسة إخوة ذكور هم: محمود، سامي، سعيد وقاسم. وبنّتين اثنتين هما شفيقة وصديقة، والدته هَنَاء شحّادة محمد فيّاض، وتزوَّج من نوال سلمان حسين.¹ وقد عايش مأساة فلسطين إذ نشأ في قرية الرّامة، وهو من أبرز المعاصرين المعارضين للقمع والعنصريّة.

2- من أعماله:

أ- الشعريّة:

- * مواكب الشّمس.
- * سقوط الأقنعة.
- * أغاني الدّروب.
- * إرم.
- * دخان البراكين.
- * دمّي على كَفّي.
- * ويكون أن يأتي طائر الرّعد / في انتظار طائر الرّعد/رحلة السّراييب الموحشة/رحلة الدّاخِل والخارج/قران الموت والياسمين.
- * طالب انتساب للحزب.
- * الموت الكبير.
- * مرآثي سميح القاسم.
- * إلهي لماذا قتلتني.
- * ثالث أكسيد الكربون.
- * وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم.

¹كامل سلمان الجبوري، معجم الأدياء من العصر الجاهلي حتّى 2002، مج 4، ج 3، ص (92).

- * ديوان الحماسة" في ثلاثة أجزاء .
- * أحبّك كما يشتهي الموت .
- * الجانب الآخر من التفاحة" "الجانب المضيء من القلب .
- * في سريّة الصّحراء .
- * شخص غير مرغوب فيه .
- * أخذة الأمير ييوس .
- * "المجموعة الكاملة لمؤلفات سميح القاسم .
- * مسرحيّة شعريّة "قرقاش" .²

ب- السردية:

- * إلى الجحيم أيّها اللّيلك .
- * المغتصبة .
- * الصّورة الأخيرة في الألبوم .
- * عن الموقف والفن .
- * إسكندرون في رحلة الخارج ورحلة الدّاخل .
- * من فمك أدينك.³

3- وفاته:

أصيب الشّاعر سميح القاسم بمرض السرطان الذي كان سببا في وفاته، وذلك يوم الثلاثاء 19 أغسطس 2014م بمدينة الصّفد في فلسطين.

²كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتّى 2002، مج 4 ، ج 3، ص (92-93).

³كامل سلمان الجبوري، معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتّى 2002، مج 4 ، ج 3، ص (92-93).

الفصل الأول

الوجودية: المفهوم وأبعاد المصطلح

أولاً: مفهومها: لغة واصطلاحاً

ثانياً: الفلسفة الوجودية

ثالثاً: الأدب الوجودي

رابعاً: مظاهر المأزق الوجودي

خامساً - الأدب الوجودي

سادساً - سياق ظهور الوجودية

سابعاً: مظاهر المأزق الوجودي

أولاً: مفهومها

أ- لغة: جاء في معجم لسان العرب الجذر "و.ج.د" وجد مطلوبهوالشيء يجده وجوداً، ووُجد الشيء عن عدمه، فهو موجود.¹

وَوُجِدَ: من العدم، كغني، فهو موجود، ولا يُقال: وَجَدَهُ اللهُ تعالى، وإِنَّمَا يُقَالُ: أَوْجَدَهُ اللهُ تعالى.²

كما نجد أيضاً في "قاموس المحيط" لفظة "وَجَدَ" المطلوب،³ توَعَدَ وورم، يجده ، بضم الجيم، ولا نظير لها، وَجَدًا، وَجْدَةً وَوَجِدًا ووجدانا.

أما في معجم "الوسيط" فمعنى لفظ "وَجِدَ" الشيء من عدم وجوداً: خلاف عُدِمَ، فهو موجود. وكلمة "أوجد" الله الشيء: أنشأه من غير سبق.

"الوجودُ": ضدّ العدم، وهو ذهني وخارجي.

"الوجودية": (بالمعنى الأعم): فلسفة ترى أنّ الوجود سابق على الماهية، "بالمعنى الأخص": يذهب "سارتر" Sartre إلى أنها تقوم على الحرية المطلقة التي تُمكن الفرد من أن يصنع نفسه ويتخذ موقفه كما يبدو له، تحقيقاً لوجوده الكامل.⁴

فلفظ الوجود في اللغة العربية فإنه يفيد معنى الحضور، فنقول: فلان موجود أي حاضر، وقد نقل اللفظ إلى معنى آخر هو الكون أو العالم، فأصبح لفظ الوجود رمزا اجتماعيًا للكون بكل ما فيه، لأنّ الكون يفيد دائماً وفي أي مفهوم معنى الحضور، أي المثول وعدم الغياب عن البصر أو البصيرة، ثمّ نقل اللفظ إلى الفرد فلم يعد مقصوراً على الكون، ولعلّ مراد ذلك أنّ الإنسان كان دائماً في الفكر البشري رمزا للكون ودليلاً على قيامه. وهكذا أصبح لفظ "الوجود" في اللغة العربية معنى على الكون من ناحية، وتعبيراً عن عالم الفرد الخاص من ناحية ثانية،

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بيروت، لبنان، مج 3، مادة د، ط1، 1990م، ص(445).

² إبراهيم مصطفى: حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ج1، مادة د، ص (1013).

³ الشافعي الفيروزبادي الشيرازي، المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مج 1، مادة د، ط1، 1999، ص(600).

⁴ إبراهيم مصطفى: حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ج1، مادة د، ص(1013).

ويستفاد من ذلك أنّ لفظ الوجود في اللغة العربيّة، بدلالة الكليّة أو الجزئيّة، يتضمّن نفي الاستغلاق، ويفيد الإحالة المتبادلة بين الجزئي والكلي، أي بين الفرد والعالم. فوجود الفرد في اللغة العربية يعني حضوره في العالم، ووجود الكون يعني حضوره بإزاء الفرد، أمّا الذات المغلقة التي لا إحالة بينها وبين الوجود الكلي، فهي ذات وهميّة لا يمكن أن تكون، وبالتالي لا يمكن أن توجد.

ب- اصطلاحاً:

الوجوديّة مصدر صناعي، وتعتبر الوجوديّة كما تصوّرها رائدها "كيركجارد" Kierkegaard على أنّها فلسفة الإنسان في مقابل فلسفة الأشياء وفلسفة الأفكار، ولعلّ أهمّ خاصيّة تتميّز بها هذه الفلسفة هي أنّها تبدأ من الإنسان ولا تبدأ من الطّبيعة، فهي تبحث عن دور الإنسان في هذه الحياة، إنّها فلسفة للذّات أكثر منها للموضوع، "الوجود الحقيقي إذن هو الوجود الذّاتي، أمّا الوجود الموضوعي، أعني الوجود بين الموضوعات، والحياة على غرار الموضوعات فوجود زائف، هو وجود تشتّت وضلال وتزييف للذّات الحقّة، لأنّي لا أكون فيه مالكا لذاتي، بقدر ما تكون الأشياء مالكة لي".¹

أمّا عند "جان بول سارتر" فإنّ الفلسفة الوجوديّة كما جاء في كتابه "الوجود والعدم" 1943 تقوم على أساس أنّ الوجود الفعلي يسبق الوجود الجوهر أو الماهية، والوجود الفعلي في نظره عبارة عن خروج الفرد من حالة الخمول البدائي بواسطة الثورة النّفسيّة الناتجة عن القلق واليأس إلى جوّ من الحرّيّة المطلقة يستطيع فيه أن يشكّل حياته بمحض إرادته متحمّلاً المسؤوليّة الكاملة عن جميع تصرّفاته وأن يفضي على العالم الذي يعيش فيه معنى ومنطقاً.² وعند الوجوديين المحدثين يتحدّد معنى الوجوديّة بدقّة ويتحدّد أيضاً الفرق بين الوجود والكون، إذ الأحجار مثلاً كائنات لكنها ليست موجودات خارج الفعل العقلي الذي هو وحده يستطيع أن يجعلها موجودات.

¹ عبد الرحمن بدوي: الزّمان الوجودي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1973، ص(42).

² مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة العربيّة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص(430).

إنّ الوجود ليس حالة فعل فقط أنّه الصّيرورة من الإمكان إلى الواقع، ومع ذلك فإنّه لا يكفي مرور كائن من حالة إلى حالة أخرى لكي يتحقّق الوجود، فمثلا الثلج الذي يذوب والماء الذي يتبخّر لا تعتريهما الصّيرورة، لأنّ الصّيرورة والوجود يتضمّنان شرط الحرّية، وهي الشرط الأساسي.

ومن هنا نخلص إلى القول بأنّ كلّ إنسان موجود بالفعل، فكثير من الناس لا يزولون اختيارا حقيقيا في تصرّفاتهم فهم غير موجودين بالمعنى الذي تريده هذه الفلسفة، إنّ الذي يوجد حقا هو الذي يختار بحرّية، أو بعبارة أخرى هو الذي يختار بحرّية كيف يوجد، أو الذي يصنع نفسه بنفسه، ولا ينبغي عليه أن يستقرّ في وضع معيّن بصورة نهائية لأنّه حينئذ يتجمّد ويصبح عائشا فقط وليس موجودا، وشتان ما بين العائش والموجود، "إذن فليس الوجود وضعا نهائيا، بل تجاوز مستمرّ لما عليه الإنسان، إنّه تقدّم مطّرد نحو اتّساع يتحقّق باختيار"¹.

ويقول "سعيد العشماوي": "الوجود -في أبسط دلالة- هو الواقع"، الوجود الإنساني هو الواقع الإنساني، وكلّ فكر عُني بالوجود الإنسانيّ هو فكر وجودي².

¹محمد غلاب، الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة، الدار القومية للطباعة والنشر، سلسلة من الشرق والغرب، ع172، 1966، ص(17).

²سعيد العشماوي، تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار الوطن العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1984، ص(14).

ثانياً: شروط الوجودية

يتفق الفلاسفة الوجوديون على أنّ للوجود شروطاً معيّنة لا بدّ من توفّرها حتّى يمكنني أن أقول لهذا الإنسان أو ذلك بأنّه موجود، وأنّ أنفي هذه الصفة عن الآخر، وتتمثّل هذه الشروط في:

أ- الاختيار والحرية

إنّ أعظم شيء في هذا الوجود هو أن نختار وأن توجد يعني أن تكون مختاراً ولكن بكل حرية ولأنّ الحرية هي جوهر الإنسان وغايته، فالكائن الموجود الذي يختار مصيره طواعية دون إكراه وضعف، هو الكائن الذي تتمثّل فيه صفة الوجود الحقيقية.

إن الوجود عملية اختيار حر دائم لتحول لفعل دائم، وباختيارنا الحر لمجموعة خصائصنا وأعمالنا تتكون لنا ماهيتنا، لهذا يجدر القول أنّ الوجود المقصود هنا ليس الوجود بمعنى الكينونة بل الوجود بمعنى الصيرورة ولكنّها صيرورة هو منها بمثابة الخالق. إن حرية المرء في اختياره لا تتحقق إلا حينما يتّخذ لنفسه موقفاً خاصاً من ماضيه وحاضره، فإذا كان ماضيه متأثراً ببيئة سيّئة فإنّ مُحاولاته في التّحرر من آثار هذه البيئة أو الاحتفاظ بها عمل ذو اختيار حر، وهو لا يستطيع إلا أن يختار، وإذا لم يفعل فقدّ معنى وجوده " إذا اختار الإنسان مصيره وقيمه قبل أن يختارها له الآخرون أصبح هو دعامة لذاته، ولذا يقوى كيانه الرّوحي"¹.

إنّ الإنسان الوجودي أو المفكر الوجودي هو الذي يعيش فكره، ويسعى جاهداً لتجسيد هذه الأفكار على أرض الواقع فلا يعيش عالية على المجتمع ولا يبالي بما يجري حوله، لا يعيش مهمشاً ولا يقف متفرّجاً لا مبالياً. "المفكر الوجودي هو الذي يعيش فكره، أنّه لا يستطيع أن يحتفظ بموقف من لا يبالي بالأحداث من حوله، وهو في غمرة محاولاته منهمك في صنع نفسه وصنع العالم الخارجي"².

ب- المسؤولية

¹ فوزية ميخائيل، سورين كيركجارد، أبو الوجودية، ص (98).

² رمضان لاوند، وجودية ووجوديون، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1980، ص (44).

المسؤولية عند فلاسفة الوجودية لا تكون في حدود ما يختاره المرء شخصياً فقط، فجان بول سارتر يرى بأنّ الإنسان مسؤول في نظره عمّا وراء ذلك، عمّا يدور في محيط الإنسان الذي يتفاعل معه "أنا مسؤول عن كل شيء ومسؤوليتي عن الحرب المشتعلة هي من العمق كما لو أنّي أعلنتها أنا شخصياً وصنعتها بنفسي"¹.

ولكنّ السؤال المطروح كيف يكون سارتر أو كامو أو فرانسيس جو نسون مسؤولين عن حرب الفيتنام أو حرب بيروت أو حرب الجزائر وهم لم يتخذوا قرار إطلاق النّار ولا قرار صب الرّيت على هذه النّار؟ كيف يكون سارتر مسؤولاً عمّا جرى في الحرب الكونية الثانية؟ كيف يكون مسؤولاً أو مذنباً في حقّ الملايين الذين قتلوا وجرحوا وشردوا و شوّهوا؟ في هذه الحالة يجد سارتر أو الإنسان الوجودي نفسه مظطراً لاتّخاذ موقف من الأحداث المذكورة.

وأن يكون هذا الموقف بكلّ حرّية بعيداً عن كل الضغوط وأن لا يقصد من وراءه جلب الضّوضاء أو القيام بجملّة دعاية أي لن يكون منزّها عن الأغراض الانتهازية، ويتحمّله لهذا الموقف بكلّ حرّية يكون قد تحمّل مسؤوليته كل ما كان يحدث في هذه الحروب، يقول سارتر: "إنّ الحرب التي جنّدت لها هي حربي أنا فهي صورتي ومثالي وهي الحرب التي استحقّتها"²، ونفس الموقف عبر عنه جيل رومان بقوله "ليس في الحرب ضحايا بريئة" فالوجودي مسؤول عن حرب شارك فيها لأنّه لم يتخلف عنها فكأنّه أرادها وصنعها وهو مسؤول عن كل ما جرى فيها من أحداث¹.

ثالثاً: أنواع الوجودية

¹ جون بول سارتر، الوجود والعدم، تر، عبد الرحمن، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، د ط، 1987، ص(76).

² إبراهيم زكريا، مشكلة الحرية، ص(189).

لقد أخذت الوجودية الفرنسية بالذات مظهرًا خاصًا بسبب أصولها المتعدّدة، وتمثّلت في صورتين مختلفتين: "الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة" ويحدّدها سارتر بقوله: "هناك نوعان من الوجوديين، أولهم الوجوديون المسيحيون وفيهم الفيلسوف الألماني كارل ياسبر والفيلسوف الفرنسي غابريال مرسال والاثنتان كالثوكيان، والفئة الثانية هي فئة الوجود بين الملحدّين وبينهم يجب أن يوضع هايدجر والوجوديون الفرنسيون وأنا أيضًا"¹.

إلا أنّ هاتين الوجوديتين على الرّغم من تباينهما، تتفقان في "أسبقية الوجود عن الجوهر" وفي هذا فارق جوهرى بين الوجودية والفلسفات السابقة جميعا، ولقد ظهرت هذه الفلسفة لتقف ضدّ فلسفة الأشياء وفلسفة الأفكار، ومن أهم خصائصها أنّها تتطلق من الإنسان لا من الطبيعة، ولذلك فهي تختلف عن الفلسفات السابقة بوصفها فلسفة للذات أكثر منها للموضوع، وهي تقوم أساسا على شعار "الوجود يسبق الجوهر" بمعنى أنّ الإنسان يوجد قبل أيّ شيء في الكون، وأنّه خالق لنفسه لأنّه وحده متصوّر لها" أو بمعنى آخر أن يتولّى الإنسان خلق أعماله، وتحديد صفاته وماهيته أو صورته على ضوء ما يفعله مدفوعا باختياره الإرادي التابع من ذاته والذي لا يفرض عليه من الخارج"².

رابعاً - الفلسفة الوجودية

¹ جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: كمال الحاج، ط1، ص(36).

² زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، ص(102).

أ- تجليات الوجودية حديثاً:

الوجودية فلسفة نظرية ومزاج وطرز سلوكي، كانت قد نشأت على يد الفيلسوف الدنماركي "كيركيارد" 1855م. الذي نحا فيها منحى مسيحياً، ويمكن القول إنّ لها جذورا أبعد لدى بعض الروائيين مثل "فلوبير" **Flaubert** و "دستوفسكي" والشاعر الألماني الروسي "هولدرين" 1843م. الذي برزت في أشعاره مسألة الصراع مع الأقدار والقطيعة معالسماء والبشر. ولكن الوجودية تبلورت كمذهب أثناء الحرب العالمية الثانية وتجلت لها تأثيرات واسعة في الأدب الفرنسي وكثير من الأدباء الأوربيين.

تقوم الوجودية على البحث في مسألة الوجود الإنساني **Existence** وعلاقته بالوجود الخارجي "الكون والمجتمع" وموقفه من هذا الوجود؛ وتتلخص مبادئها في النقاط الآتية:

- 1- الانطلاق من الذات التي هي مركز المبادرة ومقرّ الوجدان والشعور.
- 2- الإنسان موجود متكامل أي بعقله ومشاعره، وجسده وروحه.
- 3- المعارف والخبرات نسبية دوماً، ولا توجد حدود حاسمة نهائية لها؛ بل تبقى فيها ثغرات وفجوات، وليس هناك حقيقة مطلقة ...
- 4- تشتبك الذات الفردية بالعالم الخارجي اشتباك تفاعل. وكلّ من هذين الطرفين شرط لوجود الطرف الآخر؛ وهذا هو الواقع.
- 5- للواقع المعيش -أي الزّاهن- أهمية مركزية، اليوميّ هو إلهام ولا عبرة للماضي لأنّه غير موجود. أمّا المستقبل فيجب أن نُوجده نحن وشعار الوجوديّ هو: "أنا الآن وهنا" والفرد متواصل مع العالم الخارجي من خلال وجوده وحواسه ومشاعره وجسده.
- 6- الحرية هي الوجود الإنساني، ولا إنسانية من دونها، وهذه الحرية تعمل ضمن المعايير الفردية لا ضمن المعايير الأخلاقية والسياسية والدينية السائدة.
- 7- يتخذ الفرد قراره وموقفه. وهذا الموقف ذو قيمة مستقبلية لأنّه اتّجاه في عملية تجديد المستقبل حين تتلاقى القناعات والمواقف في نقطة واحدة.
- 8- ترفض الوجودية بدنياً كلّ الأشكال الجاهزة والموروثة والسائدة؛ لأنّها قيود وأثقال تمنع الحرية الفردية. ولهذا فهي تنبذ الدين. أمّا الماركسية فلم تتسجم معها انسجاماً كاملاً، وإن كانت

تلتقي معها في جوانب الواقعية. لقد أخضعتها كغيرها للنقد واحتفظت بحق الفرد في المخالفة والانتقاء وحرصت على ألا تذوب حرّيته في إطار الجماعة.

9- هناك وجوديات عديدة، بعدد مُنظريها، ولكن تتفق جميعا في التركيز على الموضوعات الآتية: الحرية، الموقف الإرادي، المسؤولية، الفرد، الإثم، الاغتراب، الضياع، التمزق، اليأس، القرف، الاستلاب، الخيبة، الرّفص، القلق، الموت ... وكلّ ما يمتُّ بصلة إلى مأساة الإنسان الوجودية¹.

ب- تجليات الوجودية قديما:

إنّ الدّارس للفكر البشري يلاحظ أنّ الفلسفة الوجودية قديمة قدم الإنسان على هذه الأرض، فهي ليست نتاج هذا القرن؛ بل لها جذور قديمة وعريقة، ولقد سائرت الفكر الإنساني منذ العهد الإغريقي إلى يومنا هذا، فالمتأمل لفلسفة "سقراط" **Socrate** يجده لا يفصل بين تفكيره ووجوده كواقع ذاتي، ولعلّ أروع ما قاله صرخته المشهورة: "اعرف نفسك"، فمعرفة النفس أو الذات أسمى غايات البحث الفلسفي، تلك حقيقة تلقّي اعترافا عاما فيما يبدو، وقد ظلت ثابتة لا تتغيّر خلال كل المعارك التي نشبت بين مختلف المذاهب الفلسفية².

وتركيبة "اعرف نفسك" تدلّ على مدى الاهتمام الذي كان يُوليه "سقراط" للنفس الإنسانية لمعرفة حقيقتها الذاتية.

أمّا المتأمل في فكر "أرسطو" **Aristot** يكشف أنّه يلتقي مع الفلسفة الوجودية في أكثر من نقطة، لأنّه أرسى التفكير الإنساني على أسس واقعية في عالم إنساني.

إنّ مشكلة الإنسان قد أثارت منذ قديم الزّمان اهتمام وفكر الفلاسفة، فقد خاض في هذه المسألة "سقراط والرواقيون" وتعرّض لها "توماس الأكويني" **Thomas D'Aquin** والقديس "أوغسطين" **Sainte- Augustine** الذي "له مكانة خاصّة من بين هؤلاء فيما يتعلّق بالتمثيل

¹ عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها-، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص (162).

² أرست كاسيرر: مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، تر: إحسان عبّاس، مر: محمد يوسف نجم، دار الأندلس، بيروت، ص(59).

الوجودي للمسيحية منذ عهد القديس "بول"، بل هناك من يعتقد حتى اليوم أن أوغسطين هو من زمرة الوجوديين".¹

خامسا - الأدب الوجودي

امتزجت الفلسفة الوجودية بالأدب، ولا سيما في مجالي الرواية والمسرحية، لأنها وجدت فيهما خير وسيلة لتحليل الواقع الإنساني والكشف عما يحدث به من الضغوط والتحديات،

¹ علي عبد المعطي محمد، سورين كيركجارد مؤسس المسيحية، منشأة المعارف، مج1، لبنان، ط1، 2000م، ص(130).

وتحصينه بحريته الكاملة وإرادته لاتخاذ قراراته ومواقفه والنضال لإثبات وجوده واختيار مصيره. ولقد كان معظم فلاسفة الوجودية أدباء عرضوا أفكارهم ونظرياتهم من خلال إبداعاتهم الأدبية عرضاً هو أفضل مما تنتجه النظريات والبحوث الجافة. كما أنّ كثيراً من الأدباء انتهجوا النهج الوجودي في رسم رؤاهم وشخصياتهم وتحليلاتهم، حتّى تبلور في النصف الثاني من القرن العشرين ما يُدعى بالأدب الوجودي، وكان من أبرز أدبائه "جان بول سارتر" الذي خلف عدداً كبيراً من القصص والروايات والمسرحيات مثل: "الأيدي القذرة - موتى بلا قبور - الدوامة - الذباب" وروايتي "الحزن العميق ودروب الحرية" وعدد من القصص، وكان منهم "البيروكامو" **Albert Camus** الذي كان يُدعى فيلسوف العبث، ومن أهم مسرحياته "سوء تفاهم - العادلون والحصار" ومن رواياته "الطّاعون والموت السعيد"، ومن قصصه "المنفى والملكوت" ومجموعة أخرى من القصص. ومنهم "غابرييل مارسيل" **Gabriel Marcel** الذي برزت وجوديته الأدبية في مسرحية "رحل الله"، ومنهم "سيمون دي بوفوار" ويُعدّ من أصحاب النزعة الوجودية أمثال الشاعر "إيلوت" **Elliot** في النصف الثاني من القرن العشرين، و "صموئيل بيكيت" **Samuel Beckett** على اختلاف بين هؤلاء واحتفاظ كلّ منهم بطابعه الخاص.¹

سادساً - سياق ظهور الوجودية

جاءت الوجودية في الشعر العربي المعاصر استجابة لتحولات كبرى شهدتها العالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين، من أزمات سياسية ونكسات قومية، إلى التأثير بالفكر

¹ عبد الرزاق الأصغر، المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها-، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص (185، 186).

الغربي الحديث، وقد عبّر الشعراء من خلالها عن قلق الإنسان واغترابه، وسعيه لفهم وجوده في عالم مضطرب فقدّ فيه المعنى والثبات.

لقد جاء ظهور النزعة الوجودية في الشعر العربي المعاصر نتيجة تفاعل مركب بين التحوّلات التاريخيّة، والانكسارات السياسيّة، والتطوّرات الفكرية التي مرّ بها العالم العربي في القرن العشرين، فقد شكّلت النكبات الكبرى مثل نكبة فلسطين عام 1948، وهزيمة حزيران 1967 صدمات وجودية حقيقية دفعت الشاعر العربي إلى التساؤل عن معنى الحياة والمصير في عالم يزداد عبثاً وفقداناً للثوابت.¹

كما أسهم انفتاح النخبة المثقفة على الفلسفة الغربية، لاسيما كتابات "جون بول سارتر" و"ألبيير كامو" في تعزيز حضور الأفكار الوجودية، حيث وجد فيها الشعراء وسيلة للتعبير عن الذات القلقة، والمصير الفردي، والحرية المهذّدة.²

وإلى التأثيرات الخارجية، لعبت التحوّلات الداخليّة دوراً بارزاً، مثل تراجع الخطاب الجمعي القومي، وفشل المشاريع الحدائثية؛ ما أدّى إلى انكفاء الشاعر على ذاته، باحثاً عن الخلاص الفردي ومُجابهاً قلق الوجود.

وقد رافق ذلك تجديدًا في الشكل الشعري مع حركة الشعر الحر، التي وفّرت للشاعر أدوات فنيّة جديدة للتعبير عن قضايا وجودية من خلال الرّمز والتكثيف والانزياح الدلالي.³ وهكذا تبلورت الوجودية في الشعر العربي كتيارٍ فني وفكري يعكس أزمة الإنسان العربي الحديث، ويعبّر عن قلقه وتمرّده، وانفصاله عن عالمٍ لم يعد يمنحه يقيناً أو معنًا ثابتاً .

سابعا: مظاهر المأزق الوجودي

أ- الإلحاد:

¹ عبد الغفار مكاي، الوجودية في الفكر العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة 1980، ص (93).

² حسين مروّة، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، الجزء الثاني، دار الفرابي، 1981، ص (119).

³ نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، 1962، ص (225).

يصل سارتر من خلال تحليلاته الوجودية وإعادة بنائه للوجود الإنساني إلى نتيجة مفادها استحالة وجود ما يسميه بالمفارق "المتعالي" أو الإلهي إذا شئنا التّحديد أكثر، ويصفه بأنّه نوع أصيل ولكنه فاشل في الكينونة الإنسانية، والتي تهرب بصفة دائمة من حرّيتها المطلقة من خلال هذا النزوع، كما تعمل النّزعة الفرديّة التي يتبناها "سارتر" على تقويض كل الشّموليات والنزعات الاستلابيّة التي تقيد الحرّية والتفرد الإنساني، وتأتي على رأسها فكرة الدّين، ومن ورائها الله نفسه، بوصفه أقصى حدود الاستغراب والشموليّة التي تسلب الإنسان حرّيته، ليخلص "سارتر" للنتيجة التالية: "إذا كان الله موجودا فالإنسان لا شيء".¹

ب- الموت:

تندرج معالجة عبد الرحمن بدوي لمشكلة الموت ضمن مسعاه لتأسيس ما يسميه مذهباً عاماً في الوجود على أساس هذه المشكلة، حيث إنه أراد أن ينطلق من الموت بوصفه مشكلة جزئية من مشاكل الوجود إلى بحث شامل في الوجود. وثمة بُعدان رئيسان يحكمان رؤية بدوي لهذه المشكلة، هما: البعد الوجودي الذي يُستمد من تصورات فلسفة هايدجر لمشكلة الموت، والبعد الحضاري الذي يعتمد بشكل مركزي على مقولات فلسفة شبنجلر في مسألة "موت الحضارة"².

والموت برأي بدوي يحوز على صفة الإشكال وذلك من الناحيتين الوجودية والمعرفية، فمن الناحية الوجودية يُعتبر الموت إشكالاً لأنه أولاً فعلٌ يؤدي إلى القضاء على كل فعل، وثانياً لأنه نهاية الحياة بمعنى أنه انتهاء الإمكانيات وبلوغها النضج والاكتمال، وقد تكون هذه النهاية قطعاً لهذه الإمكانيات عند درجة معينة، مع بقاء الكثير من الإمكانيات في حالة عدم تحقق. وثالثاً، إن الموت إشكالٌ من الناحية الوجودية لأنه إمكانيّة معلقة، على اعتبار أنه لا بد أن يقع في يومٍ من الأيام وهذا الوقوع يقينيٌّ لا شك فيه. ولكن ثمة هنا مفارقة يطرحها بدوي: لدينا في ما يخص الموت علم مطلق وجهل مطلق في الوقت عينه، فمن جهة أولى الإنسان

¹جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي، مج 1، القاهرة، الدار المصرية، ص(14).

²عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، ص (16، 17).

لديه علم مطلق أن الموت سيحدث، ومن جهة أخرى لديه جهلاً مطلقاً في ما يتعلق بالزمان الذي سيحدث فيه، وكذلك في ما يتعلق بكل حيثياته التي لا يستطيع المرء معرفتها من خلال موت الآخرين. ورابعاً إن الموت إشكال لأنه حادثٌ ذو كلية مطلقة من ناحية، وذو جزئية شخصية من ناحية أخرى، ذلك أن الكل فانون، ولكن تجربة الموت تجربة فردية خاصة. وإن المفارقة الأخيرة هي التي تؤدي إلى جعل الموت إشكالاً من الناحية المعرفية، إذ لا يمكن أن يدرك الإنسان الموت إلا انطلاقاً من تجربة موته الخاصة، لأنه في حالة الموت ينتقي الإدراك كلياً، وبالمقابل لا يمكن للمرء أن يدرك الموت إدراكاً حقيقياً من خلال حضوره موت الآخرين، ومراقبة الآثار الخارجية التي يسببها الموت، إذ يكون ذلك إدراكاً لمظاهر الموت وليس إدراكاً له في ذاته.

ويكون الموت مشكلة حينما يحيا الإنسان هذا الإشكال ويشعر بمضامينه وبالمفارقات التي ينطوي عليها، ومعايشة هذا الإشكال لا بد أن تكون نابعة من أعماق الذات بوصفها ذاتاً فردية مستقلة، وإن هذه المعايشة لا بد أن تقتضي في نظر بدوي مجموعة من الشروط الذاتية والموضوعية. فمن الناحية الذاتية يتوجب على الإنسان، الذي يريد أن يعايش الموت كمشكلة، أن يتكوّن لديه إحساس عالٍ بالذاتية والشخصية، ومن دون هذا الإحساس لا يمكن إدراك الطابع الأصلي والجوهري للموت، فإدراك الموت مقرونٌ بإدراكه من حيث إنه موتي أنا الخاص، "ولا يبلغ الشعور بالشخصية والوحدة درجة أقوى وأعلى مما هو في هذه اللحظة، لحظة الموت، لأنني أنا الذي أموت وحدي، ولا يمكن مطلقاً أن يحل غيري محلي في هذا الموت"¹.

ج- الامبريالية:

غالباً ما يخلط بين مصطلحي "الإمبريالية" و"الاستعمار". مع ذلك، يؤكد العديد من المختصين بأن كلاً من المصطلحين له تعريفه المميز والخاص به. استخدم مصطلحا الإمبريالية والاستعمار لوصف تفوق وهيمنة وتأثير مجموعة ما على شخص أو على مجموعة من الأشخاص. كتب روبرت يونغ **Robert Yong**: تتطرق الإمبريالية بالعمل من المركز،

¹ عبد الرحمن بدوي، الموت والعبقرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دط، ص (05).

لكنها ومع ذلك تعد سياسة دولة، ويتم تطويرها لأسباب أيديولوجية ومادية على حد سواء، فالاستعمار ببساطة هو تطوير للاستيطان أو للنوايا التجارية.

لكن، يشمل الاستعمار الغزو أيضًا. يفصل مصطلح الاستعمار، في الاستخدامات الحديثة، جغرافيًا بين المستعمرة والقوى الإمبريالية. يميز إدوارد سعيد، على وجه الخصوص، الفارق بين الإمبريالية والاستعمار، فيقول: «اشتملت الإمبريالية على ممارسات ونظريات ومواقف المراكز الحضرية المهيمنة التي تحكم مناطق بعيدة»، في الوقت الذي استُبعدت إمبراطوريات الأراضي المتجاورة، كالإمبراطورية الروسية أو الإمبراطورية العثمانية، من المناقشات المرتبطة بالاستعمار، مع ذلك، بدأ هذا المبدأ بالتغير، لأنه كان من المقبول لهذه الإمبراطوريات أن ترسل سكانًا إلى الأراضي الجديدة التي حكمتها. تفرض كلٌّ من الأنظمة الإمبريالية والاستعمار الميزة السياسية والاقتصادية على أرض وسكان المناطق التي تسيطر عليها، ومع ذلك، يجد المختصون أحيانًا صعوبة في توضيح الفارق بين الاثنين. يركز كل من الإمبريالية والاستعمار على قمع الدول الأخرى، لكن، يشير الاستعمار إلى عملية سيطرة بلد ما على بلد آخر، وتشير الإمبريالية بالمقابل إلى الهيمنة السياسية والنقدية على البلدان الأخرى، سواء بشكل رسمي أو بشكل غير رسمي. ينظر إلى الاستعمار بوصفة المهندس المعماري الذي يضع خطة البدء بالسيطرة على المناطق، بينما يمكن أن ينظر إلى عمل الإمبريالية على أنه خلق لمبرر الغزو بالتعاون مع الاستعمار. يحدث الاستعمار عندما تبدأ الإمبراطورية بغزو منطقة ما، ثم تصبح في نهاية الأمر قادرة على انتزاع السيطرة عليها من سكانها. يكمن المعنى الأساسي للاستعمار في استغلال الموجودات والموارد القيمة للبلاد التي تم غزوها، ومن ثم جني غنائم الحرب. بالمقابل، يكمن معنى الإمبريالية في إنشاء إمبراطورية من خلال احتلال أراضي دول أخرى، وبالتالي زيادة هيمنتها. يعد الاستعمار منشأً للممتلكات الاستعمارية في منطقة ما، ويحافظ عليها السكان الذين ينقلهم الاستعمار إلى الأراضي الجديدة من منطقة أجنبية. ليس من الغريب أن تكون خصائص ومميزات الشعوب الفاتحة موروثه من السكان الأصليين. لا يزال عدد محدود من المستعمرات بعيدًا عن البلد الأم. ستتشئ معظم هذه المستعمرات في نهاية المطاف جنسيتها المستقلة، أو ستبقى تحت السيطرة الكاملة للبلاد المستعمر.

رأى الزعيم السوفيتي فلاديمير لينين **Vladimir Lenine** أن «الإمبريالية تمثل أعلى شكل من أشكال الرأسمالية، تطورت بعد الاستعمار وتميزت عنه بالرأسمالية الاحتكارية». تؤكد فكرة لينين هذه على مدى أهمية النظام العالمي السياسي الجديد في العصر الحديث. تركز الجغرافية السياسية الآن على أن تصبح الدول لاعباً رئيسياً في السوق؛ وينظر إلى بعض الدول اليوم على أنها إمبراطوريات بسبب سلطتها السياسية والاقتصادية على الدول الأخرى .

تسبب التوسع الأوروبي بتقسيم العالم بالاعتماد على طريقة تصوير نظرية المنظومات العالمية للدول المتقدمة والدول النامية. تقسم نظرية المنظومات العالمية بلدان العالم إلى مجموعتين رئيسيتين، بلدان جوهريّة "النواة"، وبلدان هامشية (المحيط). تشمل النواة مناطق الدخل المرتفع والأرباح الكبيرة، فيما يتكون المحيط من الدول ذات الدخل المنخفض والأرباح المنخفضة. تسببت هذه النظرية الجيوسياسية النقدية بزيادة النقاشات المرتبطة بمعنى وتأثير الإمبريالية على العالم في فترة ما بعد الاستعمار الحديث.¹

د- القيم:

إنّ مفهوم القيمة اختلف من مذهب لآخر ومن مدرسة لأخرى، حيث أنّ لكل واحد فيها نظرتها الخاصة لموضوع القيمة، ومن خلال هذا نتطرق إلى رأي "جون ديوي" **John Dewey** في القيمة حيث يقول: "إنّ الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن ما يسمى قيماً ليس في الواقع سوى إشارات أو تعابير صوتية، وبين الاعتقاد في الطرق مقابل المعايير القبلية العقلية ضرورية ويقوم على أساسها كلّ من الفن والعلم والأخلاق"².

وقد لعب هذا المفهوم دوراً هاماً، حيث نجده حظي باهتمام المفكرين والعلماء والاقتصاديين والسياسيين وعلماء النفس والفلاسفة وغيرهم. فمن خلال هذا وبما أنّ الفلاسفة والمفكرين في العادة هم يبحثون عنها، فهذا بالفعل سوف يؤدي إلى تغيير وجهات النظر والوصول إلى غايات جديدة، سواء كانت هذه الغايات تطلب لذاتها أو لغايات أبعد منها.

¹ جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، مؤسسة المنقف العربي، دط، 2010، ص (325).

² عبد اللطيف محمد خليفة، ارتقاء القيم، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1992، ص(33).

كما تُعرّف أيضا بأنها: "البحث عن الموجود من حيث هو مرغوب فيه لذاته وهي تنظر إلى قيم الأشياء وتحللها وتبين أنواعها وأصولها، فإن فسرت القيم بنسبتها إلى الصور الغائبة المرتسمة على صفحات الذهن كان تفسيرها مثاليًا، وإذا فسرت بأسباب طبيعِيّة أو نفسيّة أو اجتماعيّة كان تفسيرًا وجوديًا، وخير تفسير للقيم إرجاعها إلى أصلين أحدهما مثاليّ والآخر وجودي"¹.

هـ- الاغتراب:

يُعدّ المستشرق "فروم" Fram أول من قدّم الاغتراب بوصفه مصطلحًا أدبيًا، وبوصفه مكونًا نفسيًا، وذلك بتعريفه للاغتراب، حيث يقول: "هو ما يعانيه الفرد من خبرة انفصاله عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه، فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكّمة فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكّم في تصرفاته"².

ونخلص من خلال هذا إلى أنّ الاغتراب يتشكّل من العناصر التآلية: معاناة إنسانيّة، الانفصال عن العالم الداخلي، فقدان السيطرة، إضافة إلى الأحداث التي يمرّ بها الإنسان في حياته.

وقد تميّزت حياة الإنسان العربيّ شاعرا كان أم غير ذلك بأنّها حياة بدويّة قائمة على أساس الترحّل والانتقال من مكان إلى آخر، وذلك طلبا للكأ والماء، وسعيا وراء المرعى الخصيب، هذه كانت حياة الإنسان العربي، وكانت دافعا له من جانب آخر لتتشكّل مكونات الاغتراب في ذهنه³.

وعرّف العرب الأقدمون مفهوم الاغتراب، وعرّفوا الاغتراب المادي والحسي وقد فهموه على أنه الارتحال عن الوطن والبعد والهجرة والانفصال عن الآخرين، أما المفهوم الشامل للغربة فقد وجدناه عند أبي "الحيانالتوحيدي" الذي يقول:

¹جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج2، 1982، ص (214).

²سلامي سميرة، الاغتراب في الشعر العباسي، -القرن الرابع هجري-، 2000م، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1، ص(19).

³سلامي سميرة، الاغتراب في الشعر العباسي، -القرن الرابع هجري-، 2000م، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1، ص(69).

- " فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه، وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان، بل الغريب من ليس له نصيب الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة ... إن حضر كان غائبًا وإن غاب كان حاضرًا " فإذا حللنا قول التوحيدي لوجدنا أنفسنا إزاء غربة جديدة في هذه العبارة " فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه " فهي تحمل معنى الغربة المادية والاجتماعية والنفسية والسياسية، والتي يتحملها الغريب في وطنه وبين الأحبة فلو لم يكن هناك شعور بالكبت والحرمان أو بفساد الواقع والمجتمع لما كان هذا الشعور، وفي العبارة الأخرى " وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان " وهو مفهوم آخر للاغتراب ويتمثل في الارتحال عن الوطن مصحوبًا بدوافع إما أن تكون نفسية اجتماعية أو بدوافع سياسية¹.

و- التَّشْيُؤُ "Rèification":

التَّشْيُؤُ في أبسط معانيه هو تحوُّل العلاقات بين البشر إلى ما يشبه العلاقات بين الأشياء، علاقات آليّة غير شخصيّة، ومعاملة النَّاس باعتبارهم أشياء مجردة. إنّه: "تحويل الظَّاهرة الإنسانيّة إلى شيء ليس له أيّ دور في تأكيد ذاته الإنسانيّة بعد أن سلبت منه قدراته العقليّة وإرادته، وأصبح حالة صنميّة أو سلعيّة، فقَدَت جوهرها بسبب سيطرة الأنظمة الاستغلاليّة متعدّدة الأشكال السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فبدأ الإنسان يستشعر قوّتها الضّاغطة، وهيمنتها عليه بحيث يرضخ لها رضوخًا كاملاً"².

ي- التّكبة الفلسطينيّة:

في ربيع عام 1948 نشبت المعركة الأولى بين جيوش الدّول العربيّة والقوى الاسرائيليّة، فحدثت الكارثة التي أدّت إلى الهدنة وإلى قبول إسرائيل في الأمم المتّحدة.

¹حسن سعد، الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1986، ص (9-10).

²هيجل، معاناة الرّوح المطلقة.

وبعد تسعة عشر عاماً نشبت المعركة الثانية، فلم تكن الكارثة الجديدة أخفّ هولاً من الأولى، ولن تكون نتائجها المرتقبة أقلّ وطأة على الشعوب العربيّة؛ بل إنّها ونتائجها تبدو أضخم وأوخم. "فليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكسة البسيطة، أو بالنشر الهين العابر، بل هي نكبة بكلّ ما في هذه الكلمة من معنى، ومحنة من أشدّ ما ابتلي به العرب في تاريخهم الطويل، على ما فيه من محن ومآسٍ"¹. أجل! لقد كانت نكبة لا نكسة، ومثلها، بل شرّ منها.

¹معنى النكبة، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، آب 1948، بيروت، لبنان، (ص5).

الفصل الثاني

مظاهر التأزم الوجودي في ديوان سميح القاسم

أولاً: الموت

ثانياً: الغدر والخيانة

ثالثاً: أزمة الهوية

رابعاً: ضياع البلدان

خامساً: النكبة

سادساً: التشيؤ

أولاً: الموت

في ظلّ التجربة التي عاشها سميح القاسم -تجربة الهزائم والإخفاقات المتوالية في الوطن العربي-، شكّل الموت الثيمة الرئيسيّة في شعره عبر مسيرته الشعريّة الطويلة، وهو عنده لا يعني الاستسلام والانهازم؛ بل تحمّل المسؤولية، إنّهُ الموت حين يتجدّد ويبعث الحياة. وقد قال في ذلك: "أودّ أن أقف قليلاً مع الموت. كان بوّدي أن أتعامل مع الموت الشامل، الموت العام والعالمي، لكن يا للحسرة، فما هو ينتصب كالمارد ويُلقِي ظلّه على كلّ موت سواه... إنّهُ الموت الفلسطيني"¹.

وقد استعمل سميح القاسم لفظة الموت باشتقاقاتها المختلفة، إضافة لتوظيف المفردات المرادفة والموحية للموت.

1- الأطفال والموت:

على الرّغم من المواثيق والمعاهدات والأعراف الإنسانيّة التي تتأى بالأطفال عن الحروب والعمليات العسكريّة، إلّا أنّ الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي ضرب بها كلّها عرض الحائط، ومارسَ عدوانه على الأطفال، وهذا ما لم يغفله سميح القاسم في كتاباته، فنجدّه يقول في "سربيّة أنا متأسّف":

شبابيك ورد ودفلى

تطلّ من ساحة المذبحة

وأشلاء وقتلى

وألعاب طفل ذبيح تبعثرها الرّيح بين الرّكام

ومرأة باب الخزانة منقوبة بالرّصاص الأنيق

وطاولة الأكل جاع عليها الغبار النّظيف

وغطّى الصّحون النّظيفة لفّ الملاعق والمملحة.²

كذلك نجد موت الأطفال في قصيدة "أطفال رفح" والتي يقول فيها:

للّذي يحفر في جرح الملايين طريقه

للّذي تسحق دباباته ورد الحديقة

¹ القاسم سميح، رماد الوردية دخان الأغنية، حيفا: مكتبة كل شيء، دط، 1990، ص (74).

² القاسم سميح، سربيّة أنا متأسّف، الناصرة: الحكيم للطباعة والنشر، دط، 2009، ص (41-42).

للذي يكسر في الليل شبابيك المنازل
للذي يشعل بستانا، ومتحف
ويغني للحريقة
للذي ينحلّ في خطوته شعر الثواكل
ودوال تتقصف
للذي يصدّم في الميدان دوري الفرح
للذي تقصف طياراته حلم الطّفولة
للذي يكسر أقواس قزح
يعلن اللّيلة أطفال الجذور المستحيلة
يعلن اللّيلة أطفال رفح:
نحن لم ننسج غطاء من جديله
نحن لم نبصق على وجه قتيله
بعد أن ننزع أسنان الذهب
فلماذا تأخذ الحلوى،
وتعطينا القنابل؟
ولماذا تحمل اليتيم لأطفال العرب؟
ألف شكر،
بلغ الحزن بنا سنّ الرّجوله
وعلينا أن نقاتل!¹.

بيّنت الأبيات السابقة مدى بشاعة الاعتداءات على البراءة الذين حُرّموا أبسط
أحلامهم في الحياة الكريمة، واستبدلوا حبات الحلوى بالقنابل، وعلى الرّغم من ذلك لم
يستسلموا للعدوّ وقاتلوا من أجل استرجاع كرامتهم وأرضهم.

¹سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة- بيروت، دط، 1987م، ص (749، 750، 751).

2- المرأة والموت:

إن الاحتلال الغاصب الغاشم استحلّ دماء وأرواح النساء كما استحلّ دماء الأطفال قبلها، ولم يُنثنه عن ذلك موثيق ولا معاهدات، وهذا ما زاد من حزن الشاعر "سميح القاسم" حين يقول في قصيدته: "الطفل الذي ضحك لأمّه المقتولة":

حبا في ساحة الدّار
وكركر حين فاجأها
جوار السّور مطروحة
وفاجأ بضع أزهار،
مبعثرة على صدرٍ
جميع عراه مفتوحه
تصيح:
" تعال يا ولدي ...
تعال ارضع
فخفّ لها على أربع
وغرّد ثغره: "أمّاه"
وكركر، حين لم تسمع ...
وشدّ رداءها،
ورؤاه ... دغدغة وأرجوحة
وردّد عاتبا أمّ...اه
وظلّت في جوار السّور مطروحه
وظلّت بضع أزهار
تنزّ دما
على صدر جميع عراه مفتوحه
تصيح: "تعال يا ولدي" ...¹.

¹سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة- بيروت، دط، 1987م، ص (202-203).

ثانياً: الغدر والخيانة

رأى سميح القاسم في تخاذل الدّول العربيّة لنصرة القضية الفلسطينيّة ومواقفها السّلبية تجاهها في أكثر من موقف موتاً حقيقياً يغتال الفلسطينيّ كل يوم، خاصّة وأنّ الوطن العربي وبالتّحديد تكثّر فيها النّكبات والأحداث الصّادمة والدّامية بصورة مستمرّة.

وقد هيّأت مجموعة الأحداث المتتالية على الأمّة العربيّة لحدوث النّكبة عام 1948م، بداية من دخول الاستعمار البريطاني إلى الأرض العربيّة واحتلال الأراضي والمدن إلى "وعد بلفور" عام 1917م الذي مهّد لإنشاء وطن قوميّ لليهود في فلسطين، ودعمت بريطانيا وأمريكا القوّات اليهوديّة بالسّلاح. وعملت طوال فترة انتدابها على فلسطين مع القوّات اليهوديّة المدربة والمدجّبة بالسّلاح على التّصدي للمقاومة الفلسطينيّة، تحت غطاء المحافظة على الأمن فاعتقلت زعماء الشّعب الفلسطيني وشردتهم ونفّت بعضهم إلى خارج البلاد، وقمّعت كل مظاهر المقاومة، كما أنّها أنزلت بالمناضلين أقسى العقوبات ممّا أضعف النّضال العربي الفلسطينيّ.

وأين كان العرب من كل هذا؟ أين كانت قواتهم وإعداداتهم؟. ليردّ سميح القاسم على هذا الموقف العربي السّلبى في قصيدته: "أخوه":

أيا سائلي في تحدّ وقوّه	أتشدد؟ أين أغاني الأخوّه؟
قصائدك السّود بركان حقد	ومرجل نار، وسخط وقسوه
فأين السّلام؟ وأين الوئام؟	أتجني من الحقد والنّار نشوه؟
وصوتك هذا الأجنّ الجريح	سئنا صداها الكئيب وشجوه
فهلاً طرحت رداء الحداد	وغنّيت للموت أعذب غنوه!
أيا سلّلي! خلّ عنك العتاب!	تلوم جريحا إذا ما تأوّه؟
أخوك أنا! هل فككت القيود التي	حفرت فوق زنديّ فجوه!
أخوك أنا؟ من ترى ذادني	عن البيت والكرم والحقل ... عنوه
تحمّلني من صنوف العذاب	بما لا أطيع وتغشاك زهوه
وتشتمني ... وتعلم طفلك	شتم نبيّ بأرض النّبوه ¹

¹سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة- بيروت، دط، 1987م، ص (81-82).

ويقول في قصيدته: "حتّى الموت"¹:
طوال الليل غَنّيت!
طوال الليل ... لم يشعر بك الموتى
طوال الليل ... غصّ البيت أشباحا
وفضّ بكارّة العتمة في عنف قطار الصّبح
ومرّ ببابك المعقود فوق الجرح
ونادى:
" أن أن تُغْفِي في صمت ... وترتاجا!
وكفى تنبيشا في الأجداث ... تستحضر أرواحا!
وناديت:
صباح الخير يا أمّي " ... وصَلَّيتُ
لرائحة الحليب ونكهة القهوة
ومرّت كفّك الصّفراء ... فوق جبينك الأصفر
"غداً .. أقسم .. لن أسهر!"

¹سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة- بيروت، دط، 1987م، ص (528).

ثالثاً: أزمة الهوية

والتي يحاول فيها الفلسطينيون تحديد هويته، والذي وجد نفسه يعيش على أرضه وهو نفسه غريب فيها، وهو مواطن عربي لكنه وجد نفسه يُعامل معاملة الأقلية، مما زرع في نفسه شعوراً بالاغتراب الداخلي. وإن الحديث عن الهوية والانتماء يشكل جزءاً كبيراً من قصائد سميح القاسم. وكثيراً ما نرى الشاعر يتحدث عن هوية الشعب الفلسطيني المهمشة على أيدي المحتلين، كما يتحدث عن العنصرية التي يمارسها الصهيوني في الأراضي المحتلة. أما الحديث عن الهوية والانتماء في شعر القاسم فيمكن إدراجه ضمن ثلاثة مواضيع:

أ- الهوية في بعدها الوطني

إن المقاومة الثقافية في شعر سميح القاسم تتبع أحياناً كثيرة من منطلق الهوية الوطنية أي الوجود على الأرض والثبات فيها، فالهوية الإنسانية الشاملة والأرقى هي الهوية الوطنية. والقاسم أحسّ بحاجة الشعب الفلسطيني للحفاظ على هويته الوطنية؛ لأنها مستهدفة من الصهاينة الذين بنوا وجودهم على مرتكزات أساسية منها: "فلسطين وطن بلا شعب لشعب بلا وطن" وأكد الهوية الوطنية ضرورة نضالية لتأكيد الوجود والحقوق في قصيدة "الأرض من بعدي":

أرضي التي .. بعظام أجدادي
قلبتا .. وجبلت أولادي
أرضي التي دلت تربتها
ورعت طول العمر حنطتها.¹

أكد القاسم هنا أنّ الأرض بمثابة الأم التي تحمي أبناءها من الصّياح والشتات، والتي ترمز إلى الحنان والعطف فعلاً بنفس مواصفات الأم الحقيقية. إذن ليست الأرض في تفكير الشاعر إلا رمزاً لوجوده وكيانه الذي ورثه عن أجداده والذي جبل بدمهم . حاول سميح رغم مساعي الاحتلال الصهيوني على إزاحة هوية الفلسطينيين وتجهيلهم أن يحافظ على هويته بكل إمكانياته الفكرية.

¹ القاسم سميح، الديوان، بيروت، دار العودة، 1987م، ص (483).

ب- الهوية في بعدها القومي:

يمثل الحس القومي العربي، الباعث الأول في شعر سميح القاسم الذي فجّرتَه نكبة الشعب الفلسطيني عام 1948م. وهو ألحَّ على عربيته عندما قال: "أتضايق عندما يقولون عني أنا الشاعر الفلسطيني. أحسُّ أنهم سيحشرونني في زاوية إقليمية، أنا لست شاعر فلسطين فقط.. لكن أنا شاعر عربي أيضًا وتحذّثت عن هموم الأمة العربية.. وانتمائي قومي عربي شامل"¹. ومن هذا المبدأ تحدّث سميح القاسم في قصائد كثيرة عن هويّته القومية مُعتزًا بعربيته، وقد حاول من خلالها استخدام بعض الرّموز القومية لإبراز عروبه وتعميقها. يقول في قصيدة: "ليلي العربية":

ومضت ليلي إلى الحيّ.. وصاحت

يا لثأرِ الفارسِ المذبوحِ

بالأيدي الغريبةِ

يا لثاراتِ العروبةِ

يا.. لثاراتِ.. العروبةِ.²

رمز القاسم هنا بـ "ليلي" إلى القومية العربية وثورتها ضدّ الاستعمار، ووصفها بـ "ليلي العربية" تأكيدًا على الانتماء العربي في وجه محاولات التغريب والأسرلة في الدّاخل الفلسطيني، فهي هنا ليست شخصية فردية، بل تُمثّل الأنتى - الوطن، والأنتى - الهوية.

ج- الهوية الإنسانية:

يشكّل التّركيز على الهوية والانتماء إلى أرض الوطن عنصرًا مهمًا في شعر سميح القاسم. وأحيانًا كثيرة نراه يتعامل مع الصّهاينة عن طريق الحوار الإنساني، فيحاول أن يستقي آراءه من التّاريخ الإنساني، وذلك من خلال قصيدته "ثورة مغني الرّبابة" يقول:

غنّيتُ مرتجلًا على هذه الرّبابةِ ألفَ عامٍ

مُدُّ قِيلَ: بِاسْمِ اللهِ وَالْقُرْآنِ

¹ طه المتوكل، وآخرون، حوار مع سميح القاسم، الشعراء، شتاء، 1999م، ص (140).

² القاسم سميح، 1993م، ج 1: ص (234، 235).

فَامْتَشَقُوا الحُسَامَ
وَلَكَزْتُ فِي شَغَفِ جَوَادِي
وَانْطَلَقْتُ.. لِأَلْفِ عَامٍ
عَمَّرْتُ فِي شِيرَازٍ قَصْرًا
وَابْتَنَيْتُ بِأَصْبَهَانَ
رَدَهَاتِ مَعْرِفَةٍ
وَعُدْتُ إِلَى الحِجَازِ بِطَيْلَسَانَ
وَعَلَى دِمَشقَ رَفَعْتُ رَايَاتِ النَّهَارِ مَعَ الأَذَانِ
وَجَعَلْتُ حَاضِرَةَ الكِنَانَةِ
فِي تَاجِ مَوْلَانَا المَعزِّ، جَعَلْتُهَا أَعلى جُمانِهِ.¹

يشير الشاعر إلى الفعل التلقائي، التابع من الشعور الصادق دون تصنع، حيث يوظف الرّباية كرمزٍ للتّراث العربي الشعبيّ تعبيراً على الامتداد الزّمني الطّويل وما يرمز إليه من عمق المعاناة والصّراع، كما نجده يستحضر البعد الدّيني والقيمي في تحفيز النّضال لإثبات وجوديته.

¹ القاسم سميح، الديوان، بيروت، دار العودة، 1987م، ص(211).

رابعاً: ضياع البلدان

يتجلى هذا الموضوع كأحد أبرز المحاور التي تناولها سميح القاسم، حيث عبّر عن فقدان الوطن الفلسطيني وتداعياته على الهوية والكرامة والذاكرة الجمعية، ولم يكن الشاعر يكتب عن الوطن كفكرة مجردة، بل كان يستحضر تفاصيله اليومية من البيوت المهذّمة إلى الأحلام المسروقة، ليجعل من قصائده مرآة تعكس معاناة شعبه تحت الاحتلال، فنجده يقول في قصيدة "أحكي للعالم"¹:

أحكي للعالم أحكي له
عن بيت كسروا قنديله
عن فأسٍ قتلت زنبقةً
وحريق أودى بجديلة

في هذا المقطع يرسم سميح القاسم لوحة مأساوية مكثّفة للمأساة الفلسطينية من تدمير للبيوت، وقتل الجمال، واغتيال البراءة. بأسلوب شعري بسيط مشحون بالرموز والعاطفة، ويدعوا العالم إلى الاستماع لصرخة شعبه وجرح وطنه.

أحكي عن شاةٍ لم تُحلب
عن عجنةٍ أمّ ما حُبِزَتْ
عن سطح طينيٍّ .. أعشَبْ
أحكي للعالم .. أحكي له

كما نجد الشاعر في هاته الأبيات يصور الآثار اليومية للمعاناة والحرمان التي يعيشها الشعب الفلسطيني. من خلال صور بسيطة لكنّها معبرة، تبرز تأثير الاحتلال على الحياة اليومية، ويناشد العالم للاستماع والتفاعل مع هذه المعاناة.

يا بنتَ الجارِ المنسيّة
الدميةُ، عندي محميّة ..
الدميةُ عندي. فتعالِي

¹القاسم سميح، ديوان دخان البراكين، من مفكرة أيوب، دار العودة، بيروت، 1987م، ص (181-182).

في باص الرّيح الشّرقيّه ..
حنّا؟ لا أذكر قسّماتك
لكنني أشقى .. كي أذكر
في قلبي حَفَقَةُ خطواتك
عصفورٌ .. يدرجُ .. أو يَنقُرُ
كُنّا .. ما أجمل ما كنّا
يا بنت الجار .. ويا حنّا
كنّا .. فلماذا أعينُنّا
صارت بالغرّبة مجبوله؟
ولماذا صارت أيدينا
بجبال اللّعة مجدولة؟

يعبّر الشاعر في هذا المقطع عن الحنين للماضي الجميل والرّوابط الاجتماعيّة القويّة التي كانت تجمع النّاس، كما يسلّط الضوء على التّحول الذي طرأ على حياتهم، حيث أصبحت مشاعر الغرّبة والقيود تهيمن عليهم، نتيجة للظروف السياسيّة والاجتماعيّة الصّعبة.

أحكي للعالم .. أحكي له ..

أحكي للعالم ..
موسيقى الصّبح .. سخيفه.
النُّنُّ قليلٌ يا ضيف
فلنشرب قهوتنا اليوم خفيفه.

يجسّد الشاعر في هذه الأبيات ببساطة مريّة كيف تتبدّل ملامح الحياة اليوميّة تحت وطأة الاحتلال أو الفقر أو الغرّبة، حيث يربطها بأحلك الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة بأدق التفاصيل الإنسانيّة، مثل طقوس القهوة، ليثبت أنّ المأساة طالت كل شيء حتى الموسيقى وحتى النُّن.

خامسا: النكبة

يُعدُّ مظهر النكبة حدثًا مفصليا في التاريخ الفلسطيني، وقد تركت أثرا عميقا في الأدب والشعر، خاصة في شعر سميح القاسم الذي يمثل شعراء المقاومة، ويظهر مظهر النكبة من خلال عدّة مستويات في قصيدته " التعاويذ المضادة للطائرات " من ديوان دخان البراكين، حيث يقول:

نحن في عزّ الظّهيرة،
نصفُ قرصِ الشّمس يبكي في الزّقاق
والدّجاجات يولولن، على وقع البساطيرالكبيره
وأبي يحشو رصاصات غبية
في بقايا بندقية
بين إلحاح نداءات الرفاق
راحت البروءة (*¹) .. يا ويلي على تلك الشقية
وعلى اللّيات .. يشد الخناق.

يتجلى في مطلع القصيدة مشهدًا يُصوّر اجتياحًا مُفاجئًا أو اقتحامًا عسكريًا لقرية فلسطينية في وضح النهار. تبدأ الصّورة في لحظة عزّ الظّهيرة، حيث الحرارة في ذروتها، لكنّها تتحول فجأةً إلى مأساة إنسانيّة ودمار. فالشاعر يوظف صورًا بسيطة من الحياة مثل الشّمس، الدّجاج، الأب، الزّقاق ليصنع منها مرثية وطنية حادة وصادقة، حيث تكون الكلمة مقاومة، والشّعر تعويذة في وجه الطائرات والجنود والخراب. ويقول أيضًا:

كنت طفلا آنذاك
كنت أمتص حليب التّاسعة

¹(*) هي قرية الشاعر محمود درويش صديق سميح القاسم الأثير.. تلك التي أمحت من على وجه الأرض في عداد المئات من القرى العربية الفلسطينية الأخرى بعد فترة وجيزة من قيام دولة العدو في فلسطين، عام 1948.

وحليب الفاجعة
كنتُ جدياً حالمَ العينين،
من حولي آلاف الشباك
يوم قالت لي أُمي بارتباك:
هذه الليلة لا تخلع ثيابكُ
ساعةَ النوم،
ولا تخلع حذاءك!
لم أكن أفهمُ ما تعنيه بالضبط،
ولكني بكيتُ!
نحن في ساعات تهويم المساء
نصفُ قرصِ القمرِ المغدور، يبكي في الزقاق
لم يعد بعدُ أبي، والشائعات،
عن خيانات القيادة
واندفاع الجيش .. لكن للوراء
دفعتنا للبكاء¹!

¹القاسم سميح، ديوان دخان البراكين، من مفكرة أيوب، دار العودة، بيروت، 1987م، ص (234-235)

سادسا: التشيؤ:

يُعدّ أبرز مظاهر التآزم الوجودي في شعر سميح القاسم عند تناوله للقضية الفلسطينية، لأنّه يكشف عن صدمة الإنسان الفلسطيني تجاه واقعه الذي سلبت منه هويّته وفاعليته وإنسانيته، وتحوّل إلى شيء في عالم يغلب عليه العنف والتّسيان والتّجاهل، ويتجلّى ذلك في قصيدة "إقطاع"، حيث يقول:

يا ديداناً تحفر لي رمسي
في أنقاض التاريخ المنهار
لن تسكت هذه الأشعار
لن تخمد هذي النّار
ما دامت هذي الدّنيا
ما دمنا نحيا
في عصر الإقطاع النّفسي
فسأحمل فأسي
سأشجّ حماقات الأوثان
وسأمضي.. قدماً، قدماً، في درب الشّمس
وسأمضي.. الله الطيّب.. باسم الإنسان.¹

يبدأ الشاعر بتصوير الإنسان وتحويله إلى "رسم" يحفر في أنقاض التاريخ، ممّا يُشير إلى فقدان الكيان الإنساني وتحويله إلى شيء مادي. كما نلمح إلى نظام يُجرد الإنسان من إرادته، حيث يُصبح الفرد مُستعبداً نفسياً، ممّا يُبرز التشيؤ على المستوى النّفسي والاجتماعي.

كما نجد إعلان الشاعر تمردّه بحمل الفأس وتحطيم "حماقات الأوثان"، في دعوة لاستعادة الإنسان لفاعليته وكرامته. كذلك نجد مظهر التشيؤ مُجسداً بوضوح في قصيدة

¹ القاسم، سميح، ديوان أغاني الدّروب، بيروت، دار العودة، 1987م، ص(133)

"الإنسان الرقم" أي تحويل الإنسان إلى شيء أو رقم مجرد في شعره، وهو أحد المظاهر البارزة في أدب السجون وأدب القمع السياسي، والتي يقول فيها:

رفع المقعد لي نظارتيه

سيدي ماذا تريد؟

ومضى..بالقلم المسلول، والوجه الكليل

يحرث الأوراق في صمت بليد

والحروف الصمّ والأرقام تلجّ في يديه:

سيدي..ماذا تريد؟

وتتحنّط..أنا أبحث عن نفسي هنا

رقمي..خمسة آلاف وتسعة

ومضى يبحث عن خمسة آلاف وتسعة

ليس بعينيّه " أنا "

ثم عاد الأخطبوط الأصفر الشاحب من وعير الرحيل

غاضباً..بالقلم المسلول والوجه الكليل :

سيدي.. ليس له أي وجود

ثم عاد المقعد الميت يبحث من جديد

كؤمّ الأوراق

يغتال الحروف السود والأرقام في صمت بليد

رقمي ليس له أي وجود

و أنا .. ليس له .. أي وجود.¹

تحمل القصيدة رموزاً ودلالات قوية تشير إلى ممارسات تشبه ما يحدث في السجون أو الأنظمة القمعية، حيث يُحوّل الإنسان إلى رقم فيُنزَع عن السجين اسمه ويُعامل كرقم بلا شخصية، فالشاعر يستخدم هذه الصور ليعبّر عن فقدان الهوية والكرامة، وهي تجربة يعيشها الإنسان أثناء الاحتلال .

القاسم، سميح، ديوان أغاني الدروب، بيروت، دار العودة، 1987م، ص(135)

كما نجد أنّ سميح القاسم يسخر من هذا الوضع، ويرفض أن يُختزل إلى رقم؛ هذا الرفض يُشبه احتجاج السّجين على القمع، حتى لو لم يذكر السجن صراحة. فسميح القاسم مرّ بتجارب اعتقال وتهديد، وعاش تحت حكم الاحتلال الإسرائيلي، ممّا يجعل القصيدة تُفهم على أنها صرخة ضد قمع الإنسان وسلبه حرّيته.

الحق انتم
٢٤٢ ٢٤٢

١١ . ١٠

- في ختام بحثنا هذا يمكن أن نُتَوَّجَهَ بجملة من النَّتَاجِ نلخِّصُها في العناصر الموالية:
- * عرفت الوجودية حركة كبيرة خاصّة بعد الحرب العالميّة الثانية، وأصبحت محور الحياة المعاصرة.
 - * انفتاح المذهب الوجودي على الدّراسات الأدبيّة بعد أن كان حبيس الدّراسات الفلسفيّة فحسب.
 - * انعكاس المذهب الوجودي على شخصيّة الأديباء والشّعراء المعاصرين، وأصبح صوتهم الأدبي.
 - * استرسال الوجودية عبر حقب زمنيّة كانت بدايتها مع الفيلسوف مارتن هيدجر، ليليه جان بول سارتر وألبير كامو.
 - * شهدت الوجودية اتّجاهين: أحدهما مؤمن والثّاني ملحد.
 - * تميّز الوجودية بأنها فلسفة ذات أبعاد إنسانيّة، ترى أنّ الوجود الإنساني يسبق الماهية.
 - * تُقَرُّ بأنّ الإنسان هو صانع نفسه.
 - * يعود الفضل لانتشار هذا الفكر عند العرب للحركات الأدبيّة والبعثات العلميّة.
 - * إنّ " ديوان سميح القاسم" ينتمي إلى صنف الكتابة الشعريّة المعاصرة، حيث يعتبر نفسه جزءاً من قضيّة دولته الفلسطينيّة.
 - * يظهر جلياً من خلال ديوانه أنّه ثائر ورافض للاحتلال الصهيوني ويسعى لنشر هذا الفكر.
 - * كما حرّز في نفسه الغدر والخيانة من قبل الأمّة العربيّة وهذا ما ميّز شعره من إحباط.
 - * لجأ لاستعمال الموت ببعدين، أحدهما كونها رمز الصّمود، والآخر الموت الحقيقي.

* كذلك صوّر في ديوانه واقع ومأساة دولة عربيّة مُعَنَّصَبَة ومُسْتَضَعَفَة، يعيش شعبها الاغتراب في وطنهم.

* إنّ هذا الدّيوان يسعى لإحياء وجدان الأمة العربيّة والالتفاف حول قضيتهم القوميّة.

* يُعَدّ هذا الدّيوان مرآة عاكسة لواقع دولة تعاني الوحدة والتشتت ويُخَيِّم على أبنائه الخوف من المجهول، إلّا أنّه يتطلّع لغدٍ جديد يكسر كآبة الواقع المعيش.

وأخيرا وليس آخرا نسأل الله العليّ القدير أن يوفّقنا، فإن أصبنا فبتوفيق من الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشّيطان. كما نتمنّى أن تأخذ هذه الدّراسات حيّزا أبعد وأكبر حتّى يتسنى لكلّ شخص أن ينهل من هذه المواضيع ويواكب ما يُعاشه ويعانيه إخوتنا من ظلم، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يرفع عنهم الغبن ويمتّعهم بشمس الحرّية المُنتظّرة.

المطابق
المطابق

والموافق
والموافق

قائمة المصادر

I- المصادر:

- القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم
الحديث الشريف
- (1) إبراهيم مصطفى: حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، معجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، اسطنبول، تركيا، ج1.
- (2) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، بيروت، مج5، ط1، 1997.
- (3) إسكندر نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 1988.
- (4) حسني أدهم جرّار، نكبة فلسطين، ط1، 2008، دار الفرقان للتوزيع والنشر، عمان، الأردن.
- (5) سميح القاسم، ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، دط، 1987.
- (6) سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي-القرن الرابع الهجري-، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1، 2000.
- (7) صالح الأشر، في شعر التّكبة، مطبعة جامعة دمشق، ط1، 1960.
- (8) صفاء عبد السلام جعفر، الوجود الحقيقي عند مارتن هيدغر، الإسكندرية، مصر، شركة الجلال للطباعة، 2000.
- (9) عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب -مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها-، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999.
- (10) القاسم سميح، رماد الوردة دخان الأغنية، حيفا: مكتبة كل شيء، دط، 1990.

- 11) قسطنطين زريق، معنى النكبة مجدداً، دار العلم للملايين، أغسطس 1967، بيروت، لبنان.
- 12) قسطنطين زريق، معنى النكبة، دار العلم للملايين، آب 1948، بيروت، لبنان.
- 13) مجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دط.
- 14) مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة العربيّة، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.
- 15) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدوليّة، جمهورية مصر العربيّة، 2004.
- 16) محمد غلاب، الوجوديّة المؤمنة والوجوديّة الملحدة، الدار القوميّة للطباعة والنشر، سلسلة من الشرق والغرب، ع172، 1966.
- 17) معنى النكبة، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، آب 1948، بيروت، لبنان.

II- المراجع:

- 1) حسن سعد، الاغتراب في الدراما المصرية المعاصرة بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1986.
- 2) سلامي سميرة، الاغتراب في الشعر العباسي، -القرن الرابع هجري-، 2000م، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1.
- 3) علي عبد المعطي محمد، سورين كيركجارد مؤسس المسيحيّة، منشأة المعارف، مج1، لبنان، ط1، 2000.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- 1) جون بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي، مج1، القاهرة، الدار المصرية.
- 2) رنستكاسيرر، مدخل إلى فلسفة الحضارة الإنسانية، تر: إحسان عباس، مر:محمد يوسف نجم، دار الأندلس، بيروت.

فلا راس
ع

الموظفون
ع

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	شكر وعرقان
أ - ج	مقدمة
6-5	مدخل: سميح القاسم: حياته وأثاره
الفصل الأول: الوجودية: المصطلح وأبعاد المفهوم	
8	أولاً: مفهومها: لغة واصطلاحاً
11	ثانياً: شروط الوجودية
13	ثالثاً: أنواع الوجودية
14	رابعاً: الفلسفة الوجودية
17	خامساً- الأدب الوجودي
18	سادساً- سياق ظهور الوجودية
19	سابعاً: مظاهر المأزق الوجودي
الفصل التطبيقي الثاني: مظاهر التأزم الوجودي في ديوان سميح القاسم	
27	أولاً: الموت
30	ثانياً: الغدر والخيانة
32	ثالثاً: أزمة الهوية
35	رابعاً: ضياع البلدان
37	خامساً: النكبة
39	سادساً: التثبيؤ

43	الخاتمة
46	قائمة المصادر والمراجع
49	فهرس الموضوعات
	الملخص

- الملخص:

لقد تناولنا في بحثنا هذا والموسوم بـ: المأزق الوجودي للقضية الفلسطينية في ديوان سميح القاسم دلالة العنوان ببُعديه اللغوي والاصطلاحي ومدلوله في السياق الفلسطيني.

- المأزق الوجودي وهو رحلة البحث عن الذات، والتي يعيشها الإنسان في صراعه الداخلي حول ماهية وجوده، وغالبا ما يتصل شرح هذا المصطلح بالإجابة عن الأسئلة الموائية:

* ما معنى الحياة؟

* ما هو دور الإنسان في الوجود؟

* هل بإمكان الإنسان التغيير أو التحرر من القيود؟

* ما مصير شعبي ومقومات هويتي؟

أما إذا أسقطنا هذا المصطلح -الوجودية- على السياق الفلسطيني سيصبح أشد تعقيدا من سابقه، لأنه يمثل تحليلا مأساويا أكثر تعقيدا، فنجده يتمحور حول:

* فقدان الوطن.

* انتهاك الكرامة.

* الضياع والاغتراب.

* انعدام السيادة وتقرير المصير.

* التهديد المستمر لكيان الدولة ووجودها.

- وقد وقع اختيارنا التطبيقي في هذا العمل على: "ديوان سميح القاسم" كونه ابن فلسطين الذي حمل على عاتقه إذاعة صوت شعبه المُغتَصب، وكل أعماله سواء الشعريّة أو السردية نجدها تعكس قضايا الهوية، الانتماء، النكسة والنكبة الفلسطينية، وتميّزت كل أعماله بالبصمة الواقعية السياسية والالتزام الإنساني. الذي أوصل صورة عميقة ومؤثرة على المواطن الفلسطيني الذي يحاول الاحتفاظ بهويته وإنسانيته رغم كل المعاناة.

-Résumé:

Dans notre recherche, nous avons discuté des balises : Le dilemme existentiel de la question palestinienne dans le recueil de poèmes de Sami Hasim, la signification du titre dans ses dimensions linguistiques et terminologiques, et sa signification dans le contexte palestinien.

- Le dilemme existentiel est le voyage de recherche de soi qu'une personne expérimente dans sa lutte. L'explication de ce terme est souvent liée à la réponse suivante :

*Quel est le sens de la vie ?

* Quel est le rôle de l'homme dans l'existence ?

* Une personne peut-elle changer ou s'affranchir des restrictions ?

* Quel est le sort de mon peuple et des composantes de mon identité ?

Cependant, si nous replaçons ce terme – existentialisme – dans le contexte palestinien, il deviendra plus complexe que le précédent, car il représente une analyse plus complexe et tragique. On le retrouve centré autour de :

Notre choix pratique dans cet ouvrage s'est porté sur : « Le Diwan de Samih Al-Qasim » car il est le fils de la Palestine qui a pris sur lui de diffuser la voix de son peuple usurpé, et toutes ses œuvres, qu'elles soient poétiques ou narratives, reflètent les questions d'identité, d'appartenance, le revers et la catastrophe palestinienne, Toutes ses œuvres étaient caractérisées par le réalisme politique et l'engagement humanitaire. Ce qui véhicule une image profonde et influente du citoyen palestinien qui tente de maintenir son identité et son humanité malgré toutes les souffrances.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

